

المفصول الأربعة

نفس المكان

تتوالى عليه المفصول الأربعة

الربيع والصيف

والخريف والشتاء

ثم تتركه كما كان ..

بدروبه ، وأشجاره

وحيواناته ، وأطيّاره

ومن العجيب

أن هذه كلها

تتحمل برد الشتاء

وجر الصيف

وتتعرض لزعابيب أمشير

التي تغمرها بالأتربة

وتكاد تخفى ألوانها

حتى لا تحين لحظة غير متوقعة

فترشها ببعض الأمطار الخفيفة

التي تنظف قشرتها

وتعيد إليها بعض الملعان

* * *

المشتاء في مصر

قصير وحاد

فهو يجمّد الأطراف

وتسرى لسعته إلى العظام

ويملأ الخياشيم بالزكام

ومهما اتّقاه الإنسان

بالمقطن أو بالصوف

فإنه يلفح الوجه

ويوقف الأصابع

ويدفع لتناول المزيد من الطعام ..

والذين يدخنون

يحسبون أن حلقات المدخان

التي تستدير حول رؤوسهم

توفر لهم بعض المدفء

ولكن هيهات !

أما المرأة

فتبدو أهدأ في الشتاء

وكأنها لا تشعر كثيرا بالبرد

بل إنها تندهش من رؤية الرجل يرتعش

إنها دائما دافئة

بل هي المصدر الوحيد للدفء !

أما شهور الصيف

فهي طويلة جدا وثقيلة

وهي غير موزعة بالمعدل ،

على بقية فصول السنة

نهارها ممتد

والشمس حارقة

والنسيم معدوم

والعرق ينساب من الجبهة

فتتعدر الرؤية من العينين

والممل يسرى فى النفوس

فتتوتر الأعصاب

وتنظر فى وجوه المارة

فلا تجد من يضحك أو يبتسم

الجميع كئيب ومتجهم

حتى الطيور ..

لنا ترى واحدا منها يرفرف في الفضاء

وتحاول أن تطفئ نيران جوفك

فتشرب بعض المثلجات

وكلما شربت ازداد عطشك

وانتفخ بطنك

ولم يعد أمامك إلا أن تسرع إلى البيت

وتتخلص من ثيابك

وتلقى بنفسك على السرير

وتنتظر الخلاص :

إما بالنوم ، أو الموت !

[]

شهور الخريف خادعة

تأتى وتذهب خلصة

وهى تتراوح بين المطول والمقصر

لكنها أقرب إلى المقصر

وهى أحد يومين :

يوم يبدأ بالرياح المتربة

التي تجفّ الحلق

وتحرق الجفون

وتغطى الأثاث بطبقة من الغبار المصفر ،

ويوم آخر

يكون أكثر صحوا

تعبيره بعض النسائم

وقد تسقط فيه بعض الأمطار

لكن الإنسان فى أيام الخريف

نفسه مسدودة

وهو يفضّل المانزواء

فى قوقعته الخاصة

يتخيل السفر إلى أماكن أخرى

ومشاهدة بلاد بعيدة

والالتقاء بأناس مختلفين ..

* □ *

وحين يهل الربيع

تكتسى الأغصان الجرداء بالخضرة

وتتفتح مختلف أنواع الزهور

وتتطاير الفراشات فوق الحقول

وتزقزق العصافير فى الشجرة

التي توجد خلف شقتي

وتفتح النساء الشبابيك لتنظيفها

ومنها تطل بعض الفتيات الجميلات

وقد أرخين شعورهن

وابتسمت وجوههن

ورحن يستقبلن النسائم العابرة

والمنظرات المعجبة

إنه موسم الحب

الذى تحلو فيه الدنيا

وتكفّر عما أحدثته

فى باقى فصول السنة !
